

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِلُّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا
نُمِلُّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: 178]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ ﷻ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ، أَنَّ الَّذِينَ بَاعُوا الْإِيمَانَ، وَاشْتَرَوْا الْكُفْرَ بِدَلِّهِ، لَنْ يَضُرُّوا إِلَّا أَنْفُسَهُمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ؛ جَاءَتْ هَذِهِ الْآيَةُ؛ لِتؤكدَ أَنَّ الْعَذَابَ الْمُهِينَ يَنْتَظِرُ أُولَئِكَ الْكَافِرِينَ، وَلَيْسَ مَا يَرَوْنَهُ مِنْ إِمْهَالِ اللَّهِ لَهُمْ إِلَّا اسْتِدْرَاجًا لَهُمْ؛ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَبُعْدًا عَنِ اللَّهِ، وَعَبَّرَ بِلَفْظِ الْعَذَابِ الْمُهِينِ، لِيُنَاسِبَ الْإِمْلَاءَ لَهُمْ؛ لِأَنَّهُ بِاعْتِبَارِ ظَاهِرِ الْأَمْرِ إِكْرَامَ لَهُمْ؛ وَلَكِنَّهُ فِي الْأَصْلِ، إِمْلَاءٌ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا، فَنَاسَبَ اسْتِعْمَالَ لَفْظِ الْمُهِينِ، لَمَّا يُؤَوَّلُ إِلَيْهِ حَالُهُمْ مِنْ ذَلَّةٍ وَهَوَانٍ، وَهَذَا مِنْ بِلَاغَةِ تَوْضِيفِ اللَّفْظِ فِي الْقُرْآنِ.

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿نُمِلُّ﴾: (أَمَلَى) لَهُ فِي غَيْهِ: أَطَالَ لَهُ، وَأَمَلَى اللَّهُ لَهُ: أَمَهَّلَهُ، وَطَوَّلَ لَهُ⁽¹⁾، وَالْإِمْلَاءُ لِلْكَافِرِينَ: إِمْهَالُهُمْ وَتَأْخِيرُهُمْ، وَالْإِطَالَةُ فِي عُمْرِهِمْ⁽²⁾، وَاسْتِدْرَاجُهُمْ؛ لِأَخْذِهِمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ، وَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ.

(2) ﴿إِثْمًا﴾: الْإِثْمُ: الذَّنْبُ، وَقَدْ أَثَمَ إِثْمًا وَمَأْتَمًا وَمَأْثَمًا؛ إِذَا وَقَعَ فِي الْإِثْمِ، فَهُوَ آثِمٌ، وَأَثِيمٌ، وَأَثُومٌ، وَأَثَمَهُ اللَّهُ يَأْثِمُهُ وَيَأْثِمُهُ يَأْثِمُهُ: بَضَمَ النَّاءَ وَكَسَرَهَا، إِثْمًا وَأَثَامًا: عَدَّهُ عَلَيْهِ إِثْمًا، وَجَازَاهُ جَزَاءَ الْإِثْمِ: فَهُوَ مَأْثُومٌ مَأْثُومٌ، أَي: مَجْزِيٌّ يَأْثِمُهُ، وَأَثَمَهُ فِي الْمَدِّ: أَوْقَعَهُ فِي الْإِثْمِ، وَالْأَثَامُ الْإِثْمُ: جَزَاءُ الْإِثْمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَلْقَى أَثَامًا﴾ [الفرقان: 68]⁽³⁾.

(1) ابن منظور، اللسان: (مَلَى).

(2) أبو عبيدة، مجاز القرآن: 1/108، وابن عباد، المحيط: (مَلَى).

(3) ابن منظور، اللسان: (أَثِمَ).

الرَّيْبُ بَيْنَ شِرَاءِ
الْكُفْرِ بِالْإِيمَانِ،
وإِمْهَالِ الْكُفْرَةِ
لِأَخْذِهِمْ
بِالْعَذَابِ
وَالْهَوَانِ

(3) ﴿مُهَيَّنٌ﴾: هان هواناً، بالضم، وهواناً ومهانة: ذلٌ، والهون: الخزي، و﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: عذابٌ مُذِلٌّ مُخْزٍ⁽¹⁾.

✽ الْمَغْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

لَا يَظُنُّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَنَابَذُوا دِينَهُ، وَحَارَبُوا رَسُولَهُ: أَنَّ تَرَكْنَا إِيَّاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَعَدَمَ اسْتِصْالِنَا لَهُمْ، وَإِمْلَاءَنَا لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنْفُسِهِمْ، وَمَحَبَّةٌ مِنَّا، كَلَّا؛ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا وَهَمُوا، وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِشَرِّ يُرِيدُهُ اللَّهُ بِهِمْ، وَزِيَادَةِ فِي عَذَابٍ وَعَقُوبَةٍ إِلَى عَذَابِهِمُ الْمِذْلُ الْمُخْزِيَّ لَهُمْ⁽²⁾، زِيَادَةِ فِي اسْتِدْرَاجِهِمْ، لِيَكْثُرَ ظَلْمُهُمْ، فَيَزِدَّادَ عِقَابَهُمْ، وَتَتَرَاكُمُ آثَامُهُمْ، فَكَانَ إِمْهَالُهُمْ عَيْنَ عِقَابِهِمْ⁽³⁾.

إملاء الله للكفرة
استدراج،
ليزدادوا إثمًا،
ويضاعف لهم
العذاب

✽ الْإِيضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

تَوْجِيهٌ عَطْفٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾:

جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مَعْطُوفًا عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ [آل عمران: 168]، وَالْمَقْصُودُ مُقَابَلَةُ الْإِعْلَامِ بِخِلَافِ الْحُسْبَانِ فِي حَالَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا تَلَوُّحٌ لِلنَّاطِرِ حَالَةَ ضَرٍّ، وَالْأُخْرَى تَلَوُّحٌ حَالَةَ خَيْرٍ، فَأَعْلَمَ اللَّهُ ﷻ أَنَّ كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ عَلَى خِلَافٍ مَا يَتَرَاءَى لِلنَّاطِرِينَ⁽⁴⁾.

حقائق الأمور
خيرها وشرها
له تعالى،
وليس للعبد إلا
التسليم

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مَعْطُوفًا عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾⁽⁵⁾؛ إِذْ نَهَاهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مُوجِبًا لِحُزْنِهِ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَضُرُّونَ اللَّهَ شَيْئًا، ثُمَّ أَلْقَى إِلَيْهِ خَبْرًا لِقَصْدِ إِبْلَاغِهِ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَإِخْوَانِهِمُ الْمُنَافِقِينَ: أَلَّا يَحْسَبُوا

(1) الفيروزآبادي، القاموس: (هَوَّنَ).

(2) الواحدي، الوسيط: 1/524، والسَّعْدِي، تيسير الكريم الزَّحْمَن، ص: 118.

(3) النَّاوِي، فيض القدير: 2/264.

(4) ابنُ عَاشُور، التَّخْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 4/174.

(5) أَبُو السَّعُود، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيم: 1/605.

أَنْ بَقَاءَهُمْ نَفْعٌ لَّهُمْ، بَلْ هُوَ إِمْلَاءٌ لَهُمْ، يَزِدَادُونَ بِهِ آثَامًا؛ لِيَكُونَ أَخْذُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أَشَدَّ⁽¹⁾.

توجيه القراءات في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾:

في قوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ قراءتان⁽²⁾: الأولى: بالتَّاء، والثانية: بالياء. فمن قرأ بالتَّاء؛ فهو على التَّكرير⁽³⁾، والمعنى: ولا تحسبنَّ - يا مُحَمَّدٌ ﷺ - الَّذِينَ كَفَرُوا، ولا تحسبنَّ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ⁽⁴⁾، وعندئذٍ يكونُ المفعولُ الأوَّلُ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وأمَّا المفعولُ الثَّاني؛ ففيه وجهان: الأوَّلُ: الجملةُ من (أَنْ) وما عملت فيه، والثَّاني: أَنَّ المفعولُ محذوفٌ، أُقيمَ المضافُ إليه مقامه، والتَّقديرُ: ولا تحسبنَّ إِمْلَاءَ الَّذِينَ كَفَرُوا⁽⁵⁾، ويجوز أن يكونَ موضعُ ﴿أَنَّمَا﴾ نصبًا على البَدَل من ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾⁽⁶⁾، بَدَل الاشتِمال، أي: ولا تحسبنَّ أَنَّمَا نُمْلِي للكافرين خيرٌ لهم، و(أَنْ) مع ما في حَيْزِهِ ينبُؤُ عن المفعولين، كقوله: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ [الفرقان: 44]، ويمكن أن يكونَ قوله: ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾ بَدَلًا من المضافِ المحذوف، والجملةُ سَدَّتْ مَسَدَ المفعولين، والتَّقديرُ: ولا تحسبنَّ أَنَّ إِمْلَاءَ الَّذِينَ كَفَرُوا خيرٌ لأنفسِهِمْ⁽⁷⁾.

ومن قرأ بالياء؛ فـ ﴿الَّذِينَ﴾ في محلِّ الرِّفْعِ على الفاعِلِ، تقديرُه: ولا يحسبنَّ الكُفَّارُ أَنَّ إِمْلَاءَنَا إِيَّاهُمْ خيرٌ لهم⁽⁸⁾؛ لأنَّنا إذا أَعْمَلْنَا الحُسبانَ في الَّذِينَ كَفَرُوا؛ لم يَجُزَّ أن يقع على (أَنَّمَا)، وهذا كقوله

نهى النَّبِيُّ
والكافرين عن
الحسبانِ دليلٌ
على عظيمِ
العذابِ

(1) ابنُ عاشور، التَّخْرِيرُ والتَّوْبِيرُ: 4/174 - 175.

(2) القراءةُ الأولى لحمزة، والثَّانية للباقيين من العشرة، ينظر: ابنُ مجاهد، السَّبْعَةُ، ص: 220، وابنُ زنجلة، الخُجَّة، ص: 183، وابنُ الجزري، التَّشْرُح: 2/244.

(3) وهو قولُ الفَرَّاء في كتابه، معاني القرآن: 1/248.

(4) الرَّجَّاح، معاني القرآن: 1/491، والزَّمخْشَرِي، الكشاف: 1/482.

(5) العكبري، التَّبيان: 1/159.

(6) السَّمِين، الذُّرُّ للصون: 3/499، وابنُ عادل، اللَّبَاب: 6/96.

(7) العكبري، التَّبيان: 1/159.

(8) الرَّجَّاح، معاني القرآن: 1/507 - 508، والسَّمِين، الذُّرُّ للصون: 3/496.

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ [الزخرف: 66]، يعني: فهل ينظرون إلا الساعة، هل ينظرون إلا أن تأتيهم بغتة؟⁽¹⁾.

معنى (ما) في قوله: ﴿أَنَّمَا نُمِلِي لَهُمْ﴾:

في (ما) وجهان: أحدهما: بمعنى: الذي، والثاني: مصدرية⁽²⁾، ولا يجوز أن تكون (ما) كافة ولا زائدة، كما قد يتوهم؛ إذ لو كان كذلك؛ لانتصب ﴿خَيْرٌ﴾ بـ ﴿نُمِلِي﴾، واحتاجت (أن) إلى خبر؛ إذا كانت (ما) زائدة، أو قدر الفعل الذي يليها، وكلاهما ممتنع⁽³⁾.

براعة الاستعارة في قوله: ﴿أَنَّمَا نُمِلِي لَهُمْ﴾:

في قوله تعالى: ﴿أَنَّمَا نُمِلِي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ﴾ استعارة بديعة، إذ استعار الإملاء لمعنى الإمهال، واشتق منه الفعل أَمَلَى على سبيل الاستعارة التبعية، وصرح به على سبيل الاستعارة التصريحية، وهو مأخوذ من أَمَلَى لِفَرَسِهِ؛ إذا أَرَخَى له الطول؛ ليرعى كيف يشاء، فقد شبه إمهالهم، وترك الحبل لهم على غواربه: بالفرس الذي يُمَلَى له الحبل؛ ليجري على سجيته، فحذف المشبه: وهو الإمهال والترك، وأبقى المشبه به: وهو الإملاء⁽⁴⁾.

بلغة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمِلِي لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا﴾:

قوله: ﴿أَنَّمَا نُمِلِي لَهُمْ﴾: جملة مُستأنفة، تعليل للجملة التي قبلها؛ كأنه قيل: ما بالهم لا يحسبون الإملاء خيراً لهم؟ فقيل: إنما نُمِلِي لهم؛ ليزدادوا إثماً⁽⁵⁾، و(ما) في هذه الجملة حقها أن تكتب متصلة؛ لأنها كافة دون الأولى.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا﴾ كلمة مركبة: من (إن) حرف التوكيد،

تشبيه الإمهال
بالإملاء والترك
على السجية
لبیان مآل
الحرية في
مخالفة الشرع

استئناف الجملة
لبیان التعليل

(1) مكّي، مشكل إعراب القرآن: 1/179، وابن هشام، أوضح السالك: 2/42.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/605.

(3) العكبري، التبيان: 1/159.

(4) صافي، الجدول: 2/384.

(5) الزمخشري، الكشاف: 1/482.

قصرُ الإملاءِ على
خلافِ التوقعِ
أبلغُ في التهديدِ

الاستمرارُ في
ازديادِ الإثمِ
إيماءً بضمقِ
الكافرين

و(ما) الكافّة، وهي أداة حَصَر، أي: ما نُملِي لهم إلا ليزدادوا إثمًا، أي: فيكون أخذهم به أشدّ، فهو قصرُ قلبٍ، ومعناه: أنّه يُملِي لهم، ويؤخّرهم، وهم على كفرهم، فيزدادون إثمًا في تلك المدة، فيشتدّ عقابهم على ذلك، وبذلك لا يكون الإملاءُ لهم خيرًا لهم، بل على عكس ذلك فهو شرٌّ لهم.

وجاء الفعلُ ﴿لِيَزْدَادُوا﴾ بصيغة المضارع؛ ليدلّ على الاستمرارِ والديمومة في ازديادهم في الإثم، والمصدرُ المؤوّل لـ (أنّ يزدادوا) في محلّ جرٍّ باللام متعلّق بـ ﴿نُملِي﴾ الثانية.

نكتة تقديم شبه الجملة، في إفادة الحصر:

قد أفاد تقديم شبه الجملة ﴿لَهُمْ﴾ حَصَرَ العذابِ المهين وقصره بأولئك الكافرين المستكبرين، وهو قصرٌ ادّعائي، إذ العذابُ المهين سيصيب طوائف أخرى من الكفرة والمنافقين.

❁ **الفروقُ المعجميّة:**

الإملاء والإنظار:

الإملاء: الإمدادُ، ومنه قيلَ للمدة الطويلة: مَلَاوَةٌ من الدهر، ومَلِيٌّ من الدهر، قال تعالى: ﴿وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ۝٤٦﴾ [مريم: 46]، وتَمَلَّيْتُ دَهْرًا: أبقيتُ، وتَمَلَّيْتُ الثوبَ: تَمَتَّعْتُ به طويلاً، وتَمَلَّى بكذا: تَمَتَّعَ به بمَلَاوَةٍ به، بمَلَاوَةٍ من الدهر، ومَلَأَكَ اللهُ - غيرُ مَهْمُوزٍ - عَمَرَكَ، ويُقالُ: عَشْتُ مَلِيًّا، أي: طويلاً، و(المَلَا) مَقْصُورٌ: المَفَاذَةُ المُمْتَدَّةُ، والمَلَوَانُ: قيل: اللَّيْلُ والنَّهَارُ، وحقيقة ذلك تَكَرُّرُهُما وامتدادُهُما⁽¹⁾، والإملاءُ كذلك: هو الإمهالُ والتأخيرُ⁽²⁾ والإنظارُ، والنظرُ: الانتظارُ، يُقالُ: نَظَرْتُهُ، وَاَنْتَظَرْتُهُ، وَاَنْظَرْتُهُ، أي: أَخَرْتُهُ؛ ومنه قوله تعالى:

(1) الرَّأْيُ، المفردات، ص: 776 - 777، والفيروزآبادي، القاموس: (مَلَا).

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 72.

﴿وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [هود: 122]⁽¹⁾، والإنظار: إمهال؛ لينظر صاحبه في أمره، خلاف التقديم، ويرشد إليه قوله سبحانه: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾ [هود: 55]⁽²⁾، ومن خلال ما تقدّم بيانه، من الفرق بين (الإملاء)، و(الإنظار)، نجد أن معنى الإملاء، اليق وأولى بسياق النص القرآني، فالله ﷻ يُملي للكافرين، بإمداده لهم المدّة الطويلة من الدهر، ويؤخّرهم لا لخير لهم، وإنما ليزدادوا إثمًا، وهذا هو عين الاستدراج الذي ورد في قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 182]، حتّى يأتيهم العذاب المهيّن، وهذا الإمهال والإمداد لهم تلك المدّة الطويلة، لا يسعها معنى الإنظار الذي هو إمهال مقرون بمدّة قليلة، بقدر ما يقع فيه النظر.

(1) الرّأغب، المفردات، ص: 813، والفيروزآبادي، القاموس: (نظر).

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 81.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس، سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1444هـ - 2023م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2023م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء [إشراف مجمع

القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2023.

مج. 6، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-798-58-3

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 6: سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي: 978-9948-798-58-3

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-2475776 بتاريخ 2023/03/15م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»